

أفلتت اليمن... فهل يفلت الطاغية؟



جمال جبران

jimy34@gmail.com

مخلص مع الإدارة الأميركية ويسمح لطايراتها بقصف مواطنيه وهم آمنون داخل بيوتهم الطينية، إضافة إلى كون صالح موظفا قديما في طاقم العائلة السعودية المالكة التي لن تسمح بثورة تؤدي إلى إبعاد هذا العنصر المخلص واستبداله بأخر لا يمكن توقع اتجاهه من الاحتلال السعودي غير المعن للسيادة والقرار اليمني. وعليه تركوا صالح ومنحوه الفرصة تلو الأخرى، كي يجد طريقته الخاصة مع شعبه الذي يعرف جيدا كيف يتعامل معه منذ 33 عاما.

لكن ظهر لهم، مع تقدم الثورة في طريقها، أن الأمر لم يكن بتلك السهولة التي اعتقدوها، كما أن منسوب الدم اليمني الذي زاد في ارتفاعه، وغطى واجهة المدن اليمنية، قد بلغ درجة قد تضر بصورة تلك الإدارة المتحضرّة، كما قد يذهب بالوضع إلى اتجاه لن يكون أمر التحكم به ممكنا. فما كان من هذه الإدارة إلا أن أوعزت للعائلة السعودية المالكة أن تقدم مبادرة خليجية تبدو في ظاهرها وسيلة لإيقاف عجلة القتل، لكنها كانت في باطنها وسيلة يمكن بها إنقاذ صالح من ورطته. لقد خدّمهم الرجل بتفان وإخلاص، ولا بد من إيجاد مخرج آمن له. لكن المبادرة كانت قبل كل ذلك، طريقة يمكن بها السيطرة على الوضع اليمني كي لا تاتي قيادات من داخل البنية الثورية لا تكن مشاعر ود تجاه الإدارة الأميركية والعائلة السعودية المالكة.

وهو ما كان. نجحت أميركا والسعودية في تحويل «الثورة» إلى مجرد «أزمة» بين أطراف سياسية وقبلية متناحرة ولا بد من أن تنتهي بتسوية ما، هي تحويل صالح إلى رئيس شرفي بلا صلاحيات بداية، قبل تنحيه عن الحكم نهائيا في الحادي والعشرين من فبراير القادم، موعد إجراء الانتخابات الرئاسية المبكرة، إضافة إلى منحه حصانة قانونية تحميه من أية ملاحقات قضائية لاحقة، لينجح في النهاية في الإفلات من العقاب.

وحدث ذلك على الرغم من إدراك الإدارة الأميركية والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي الذين رعدوا الاتفاق، أن تلك الحصانة تناقض أبسط قواعد حقوق الإنسان والمواثيق الدولية.

هكذا، وجد ثوار اليمن أنفسهم تحت ضغط الأمر الواقع، ووقفوا يفرجون على صالح وهو يحمل حوائبه والأموال التي سرقها من ثروات الشعب اليمني ويغادر دونما عقاب. يبدو هذا بالفعل مجحفاً للغاية في حق هؤلاء الشباب، لكن هل كانت هناك وسيلة أخرى في أيديهم، ولم يقوموا بها إسقاط النظام؟

على الشباب أن يعترفوا أنهم قد نجحوا في إبعاد صالح عن اليمن الذي عليهم اليوم أن يفرغوا لإعادة بنائه وقيادته نحو أيام جديدة تليق به. أما مسألة إفلات صالح من العقاب فقد أوجدتها مصالح قوى كبرى، لكنها غفلت عن مسألة بدهية تتعلق بقاعدة حقوقية تقول إنه لا يمكن لأحد أن يعطي حصانة لقاتل إلا أولياء الدم. ولا نعتقد أن أهالي شهداء الثورة سوف يتنازلون عن حق أبنائهم.

احتجاج علي عبد الله صالح إلى عام كامل كي يقول لنا «فهمتكم». احتجاج إلى كل هذا الوقت كي يدرك أن الدرس انتهى، وأن مسرحيته الهزلية والهزيلة قد وصلت فصلها الأخير. لكن هل كان على اليمنيين أن يتكبدوا كل تلك الخسائر والدماء التي سالت كثرة في شوارع المدن اليمنية، طوال عام، كي يعرف صالح أنه لم يعد صالحا لحكمهم وقيادة بلادهم، بعدما احترق طوال ثلاثة وثلاثين عاما مهمة إظهارهم للعالم على أنهم مجموعة من قاطعي طريق وقتلة وقناصة وقبليين همج، هويتهم الأولى تتمثل في خطف السائحين، وأنه الوحيد القادر على السيطرة عليهم وكبح جماح نزعاتهم الشريرة؟

بعد عام كامل من خروج الشباب إلى الشوارع والساحات هاتفين «الشعب يريد إسقاط النظام» فهم أخيرا أن حالتهم قد وصلت إلى درجة صاروا معها يفضلون الموت على أن يستمر هو في حكمهم يوما إضافيا واحدا. خرجوا بصور عارية وسقط المئات منهم برصاص قواته وعبر عناصر «بلطجية»، ظهر جيدا، من طريقة إطلاقهم العشوائي للرصاص الحي في اتجاه الشباب المحتجين، أنه كان لديهم تصريح مفتوح بالقتل، فظهروا واثقين من أن أحدا لن يحاسبهم على ما يفعلونه.

وخلال كل ما حصل، قدّم هؤلاء الشباب درساً حضاريا رائعا، وهم يمتنعون عن مقابلة الرصاص بمثله، على الرغم من امتلاكهم له وبكثرة في منازلهم. هكذا أحبطوا رغبة صالح في جرّهم إلى عنف وعنق مضاد، فتكون له شرعية مواجهة هذه الثورة على أساس أنها تمرد شعبي مسلح ضد حكمه.

كذلك أحبط الشباب، في الوقت ذاته، كل الرهانات التي كانت تقول بحصول حرب أهلية لن يعلم أحد أين ستكون نهايتها. إذ قيل الكثير عن الشعب اليمني بأنه قبلي مسلح ولا يعرف لغة الرصاص وسيلة للتفاهم في ما بينه، ويختلف تماما عن الحاليتين اللوثنية والمصرية.

لكن ذهبت تلك الأقاويل مع الريح وذهب شباب اليمن في طريق ثورتهم السلمية بثبات وإصرار، حتى وصلوا إلى اللحظة التي رفع صالح فيها يديه قائلا: لقد فهمتكم واطلب العفو منكم قبل أن يحزم حقائبه ويغادر.

لكن هل تبدو هذه النهاية لاثقة بهذه الثورة اليمنية العظيمة والنادرة والتي كانت في بدايتها تريد إسقاط النظام ليتحول المطلب إلى «الشعب يريد محاكمة السيفاح»؟ هل تبدو مغادرة صالح لاثقة وهو يمضي بعيدا عن البلاد سالما، ويجعل في جيبه حصانة قانونية تمنع ملاحقته قضائيا، وتعفيه من كل الجرائم التي قام بها على امتداد فترة حكمه، ووصولاً إلى ما قام به خلال سنة الثورة من قتل وحروب ومعارك؟

قد يبدو هذا الأمر مجحفاً للغاية، وشباب الثورة ينظرون لقاتل رفاقهم وهو يغادر البلاد كأي متقاعد نزيه اجتهد خلال سنوات عمله بصبر وإخلاص وأن له أن ينعم باستراحة تليق باجتهاده وتفانيه. نعم، هذا ليس عادلا أبداً، لكن قد ينبغي لشباب الثورة أن ينظروا للأمر من أكثر من جهة، خصوصا من باب أن خروج صالح لم يكن ليتم بغير هذه الطريقة، وأن هذا هو الحل الأقل كلفة.

لقد صمد الشباب ببطولة استثنائية، منذ بداية ثورتهم واستمر صالح في قتلهم، فيما بقي العالم المتحضر منفرجا أمام ما يحصل لهم، ولم يكن له رد الفعل نفسه الذي أظهره في أماكن أخرى من البلاد العربية. لكن لا غرابة، فهذا العالم المتحضر لا يهتم لأمر الفقراء الذين لا نطق لديهم، وبالتالي لا مبرر لتدخل عاجل يعمل على إيقاف عجلة القتل التي دارت حاصدة أرواح يمنيين تركوا وحيدين أمام مصيرهم. ولا يُنسى أن علي صالح هو خادم وفي ومتعاون



مسالك خلفية خطيرة

خالد عبدالهادي

Khaled7@gmail.com

الحصانة وتنبأ آخر بأن الاضطرابات الراهنة قد تعطل الانتخابات التوافقية.

ومؤخراً قال رئيس الدائرة السياسية في المؤتمر الشعبي العام عبدالله أحمد غانم في حديث لصحيفة حربه إن «استمرار مظاهر الفوضى الموجودة» يهدد بإفشال اتفاقية نقل السلطة والانتخابات الرئاسية الانتقالية.

ما يجمع بين كل الساسة المؤتمريين الذين صدرت عنهم تنبؤات بتعثر الانتخابات الرئاسية أو الاتفاقية برمتها أنهم تقلدوا مواقع كبيرة داخل حزبهم لكنهم كانوا مستلبين ولم يكن بإمكانهم إنتاج سياسة مستقلة وجديدة.

ويستطيع أي مدقق في طريقة توجيه تصريحاتهم أن يلمس أنها ليست تعبيرا خالصا عن مخاوف بشأن ما قد يواجه الانتخابات بل هي محاولة ابتزاز سياسي وجس نبض الأطراف الأخرى.

فضلا عن تصعيد إعلامي واضح في وسائل الإعلام التابعة للمؤتمر الشعبي العام في آخر أسبوع وتضخيم أحداث أمنية من أجل تسخيرها للتشكيك في ملازمة البيئة لاختيار الرئيس الانتقالي بالرغم من معرفة المؤتمريين أن الانتخابات التوافقية ستكون تحصيل حاصل وإن ظروفًا مماثلة لم تحل دون إجراء انتخابات تنافسية سابقة.

ترك الأبواب المشروعة للتباري السياسي وسلوك طرق خلفية هو تصرف مريب وإشارة غير مطمئنة عما قد يتم زرعه من عقبات وعراقيل في مجرى العملية السياسية.

فمن حسن الحظ أن عجلة السياسة كانت ماتزال تدور بالرغم من استلابها وتشويه مخرجاتها خلال عهد صالح بعد إحلال الديمقراطية عقب قيام الوحدة ولولا ذلك لانزلقت الانتفاضة الشعبية إلى شرك العنف المسلح.

ومن المهم للمؤتمريين وخصومهم الرافضين اتفاقية نقل السلطة التحقق من أن التخلي عن المسار الذي تمضي فيه الاتفاقية بما فيها اختيار رئيس انتقالي سيليقي بالبلاد إلى فوضى شاملة وهاوية سحيقة من الألام والصراعات.

يعارض كثيرون من أنصار الانتفاضة الشعبية السلمية الذين مازالوا في ساحات الاحتجاج الاتفاقية خصوصا الانتخابات التوافقية لكن بطرق سلمية وهو موقف نقي ويتمتع بمبررات أخلاقية ومنطقية معقولة خلافا للشكوك التي تحوم حول نوايا المؤتمريين النظاميين.

هذا التوقيت خطر. ويمثل فرصة مثالية للابتزاز وترهيب الطبقة السياسية بفزاعة تعطيل اختيار رئيس انتقالي للبلاد في الانتخابات التوافقية المقررة في 21 فبراير.

كما هو فرصة لإشاعة الفوضى الأمنية التي تتخذ أشكالا مختلفة بدءا من سيطرة الجماعات المتشددة المرتبطة بتنظيم القاعدة على بعض المناطق حتى إغلاق الطرق الرابطة بين المحافظات أو الشوارع داخل المدن الكبيرة بحجة مطالب غير قانونية في الأساس.

حتى الاحتجاجات الملحة أو الانتفاضات العمالية يمكن إرجاؤها إذا اتخذها المرتاعون من نقل السلطة ذريعة للنكث بالاتفاقية المنظمة لخطوات نقل السلطة على الرغم من حجتها الأخلاقية الدامغة وأسانيدها القانونية والواقعية.

غالبية المؤتمريين من ذوي النوايا الحسنة يتطلعون إلى المضي في إنجاز اتفاقية نقل السلطة لكنهم غير مؤثرين كثيرا ويضعون وسط تأثير مراكز القوى الموازية التي نشأت خلال عهد الرئيس علي عبدالله صالح وتنمّرت حتى طغى تأثيرها على المؤتمر وصالح.

تلك المراكز هي الأقرب لأن تشكل مبعث الأخطار التي من الممكن أن تعكر السلم الاجتماعي والعملية السياسية لأنها في طبيعتها الأساسية جهات غير مسؤولة وتستطيع التنصل من الاتفاقات المسارية بحكم أنها غير محسوبة على إطار سياسي معين.

ويتناغم تيار صغير في المؤتمر مع الأمانى بتعثر اختيار رئيس انتقالي لاعتقادهم أن الوصول إلى هذه المحطة سيقتضي على أدوارهم وينهي مصالحهم التي تشكلت بطرق غير مشروعة.

ويتشكل هذا التيار من الساسة المؤتمريين القدامى الذين لم يخطر ببالهم أنهم سيجدون أنفسهم ذات يوم مجردين من علي عبدالله صالح الذي كانوا ينتصرون به وهم مترهلون سياسيا وجامدون لا يملكون القدرة على التجديد في السياسي أو خوض المنافسات السياسية بدون دعامة من عيار رئيس جمهورية.

فطلع من هذا التيار من ينادي برفض مسألة